



حرب أكتوبر وضرورة لجان التحقيق المستقلة

قرارات كارثية للسادات على طاولة المفاوضات (3- 5)

بقلم رائف محمد الويشي

21 أكتوبر 2009

تناولنا في الحلقة الأولى الموقف العام للقوتين المصرية والإسرائيلية على جانبي القناة قبل الحرب ، تناولنا في الحلقة الثانية القرارات الكارثية العسكرية التي اتخذها السادات بمركز القيادة العامة أثناء الحرب وهو غير المؤهل لذلك .. سنطرح هنا في الحلقة الثالثة مجموعة القرارات الكارثية التي اتخذها السادات على طاولة المفاوضات مع اليهود بعد وقف المعارك والتي لا نبالغ في القول أنها فاقت في عمق ضررها بالأمن القومي المصري بأكثر مما اتخذته من قرارات كارثية أثناء المعارك العسكرية ..

يقول الفريق الشاذلي في مذكراته - مذكرات حرب أكتوبر - ما يلي :

" أن القرارات العسكرية الكارثية التي اتخذها السادات في غرفة القيادة العامة أثناء سير المعارك وأجبر القادة الميدانيين على تنفيذها قد دفعت خصوم السادات إلى اتهامه بالخيانة معتمدين في ذلك على ما نشرته صحيفة واشنطن بوست في السبعينات إلى أنه كان يتقاضى مرتبا من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA منذ الستينات بالإضافة إلى ما ذكره الصحفي الأمريكي الأكثر شهرة Bob Woodward في كتابه The Secret Wars Of The CIA في صفحة 352 " ..

جدير بالذكر أن الصحفي المذكور كان يعمل في صحيفة واشنطن وهي الأكثر شهرة في العالم ووضع يده - في نوفمبر 1977 - على قائمة من عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A من قادة الشرق الأوسط وأعلن عن نيته نشر تلك القائمة والتي كان ضمنها - كما ذكر هو في أكثر من موضع - أنور السادات مع ملك عربي .. (كان يطلق عليه في الدوائر الأمريكية المغلقة Mr. No Beef) ورئيس عربي آخر (تولى قيادة بلده بانقلاب مسلح وكان لا ينبغي) ..

علم الرئيس الأمريكي كارتر بما ينوي الصحفي القيام به فاتصل به يرحوه عدم نشر تلك القائمة لما قد تسببه من مخاطر على الأمن القومي الأمريكي إلا أنه أصر على نشر تلك القائمة وهو ما فعله وسبب حرجا عميقا للبيت الأبيض .. وجاءت نهاية عام 1979 واقتحم الطلبة الإيرانيون مقر السفارة الأمريكية في طهران وأخرجوا منها وثائق عديدة تصب في هذا الاتجاه ..

لكن الفريق الشاذلي لا يتهم السادات بالخيانة ويعلل كوارث قرارات تطوير الهجوم التي اتخذها السادات بأنها ترجع إلى لوثة عقلية أصابته عقب الانتصار المذهل لقواتنا في أسبوع الحرب الأول ، وقد تعود أسباب تلك اللوثة - والكلام مازال للفريق الشاذلي - إلى أيام الحرمان والجوع التي كانت في طفولة السادات وشعوره بالنشوة في مركز 10 من سماعه كلمة حاضر يافندم رغم ضحالة ثقافته العسكرية التي لم تزد على ثلاثة سنوات وفي سلاح فني بالقوات المسلحة وهو الإشارة ...

يدلل الفريق الشاذلي على ذلك بما قاله السادات في كتابه الذي أصدره بعد الحرب - البحث عن الذات - حيث قال فيه السادات عن تلك الفترة " حكمتك يارب .. كل الناس في العالم العربي يباخذوا دلوقتي أوامر مني ، أقول أي شيء فيقولون حاضر يافندم " ..

يذكر د. محمود جامع الطبيب الخاص للسادات وجليسه منذ طفولته ما يؤكد ضحالة الثقافة العسكرية عند السادات في كتابة " عرفت السادات " وذلك في موضعين :

الأول :

يقول أنه في أعقاب عودت السادات إلى الجيش في الأربعينات بعد فصله تقدم لامتحان الترقية وذهب إلى جمال عبد الناصر ومعه أسئلة الامتحان لأنه لم يستطع الإجابة عليها وأعطاه عبد الناصر الإجابة بخط يده ..

الثاني :

حدث في 26 سبتمبر 1973 في قرية السادات ميت أبو الكوم حيث أخبره السادات أن العبور سيتم في الفترة 3 إلى 10 أكتوبر وقال له " لو أخبرت أحدا بهذا الأمر فسوف أذبك " ، وكان د. جامع حاضرا في اليوم المذكور عندما أخبر السادات شقيقته الكبرى نفيسة بذلك أيضا وطلب منها أن تدعى الله له بالنصر .. ويضيف د. جامع أنه أخبر العديد من الوزراء بكلام السادات له عن موعد العبور عقب عودته إلى القاهرة ..

(الطبيعي أن يقوم الوزراء بنقل الخبر إلى منازلهم وكذلك إلى الصف الثاني في كل وزارة ، والطبيعي أيضا أن يفعل الصف الثاني نفس الشيء وهكذا في متواليه عديدة .. وقد يفسر ذلك قيام وزير الطيران المدني أحمد نوح بوقف خطوط مصر للطيران يوم 5 أكتوبر دون الرجوع إلى القيادة السياسية بعد أن انتشر الخبر بين أعضاء الحكومة مما كاد أن يؤدي إلى فشل العبور وربما فناء الجيش المصري وتكرار سيناريو النكسة ، وقد يفسر عدم التحقيق مع الوزير نوح بعد الحرب هي الرغبة في عدم كشف الكارثة التي تسبب فيها السادات ..

لقد ضرب السادات هنا عرض الحائط بأبسط قواعد العسكرية بكتمان هذا الأمر الخطير .. ويذكر الفريق الشاذلي في كتابه السابق أنه حتى زوجته لم تكن تعلم أثناء وجوده خارج مصر لجلب المساعدات العسكرية لأنها تعودت على غيابه بالمواقع العسكرية لعدة أسابيع) ..

أما ما فعله السادات أثناء المفاوضات مع الإسرائيليين فيفوق في أضراره ما فعله في غرفة العمليات ونذكر مثلين على ذلك وردا في كتاب المشير عبد الغنى الجمسى " مذكرات حرب 1973 " وهما ما يلي :

الأول ذكره في ص 482 :

اجتمع المشير الجمسى في أسوان مع كيسنجر في ديسمبر 1973 لمناقشة تفاصيل فض الاشتباك وفوجئ منه بمعرفة أن السادات قد اتفق معه - أي مع كيسنجر - على تواجد للقوات المصرية في سيناء بحجم 30 دبابة مع 7 آلاف رجل فقط ، انصرف المشير الجمسى من الجلسة لفترة بعد أن اغرورقت عيناه بالدمع ..

يقول المشير " لم يكن هناك ما يدعو إلى هذا التنازل الكبير الذي يترتب عليه تهديد أمن قواتنا ، كنت أتوقع أن يستشير السادات الفريق أحمد إسماعيل أو يستشيرني عند وصولي إلى أسوان لإبداء الرأي في الموضوعات العسكرية .. اقترحت على الرئيس استدعاء الفريق أحمد إسماعيل من القاهرة ورد بأنه لن يستدعيه وأن اتفاهه مع كيسنجر يجب الالتزام به " ..

الثاني ذكره في ص 500 :

كان في 20 ديسمبر 1977 أثناء اجتماعه كوزير للحربية للمرة الأولى مع عزرا وايزمان في جناكليس ، فوجئ الجمسى منه بمعرفة أن السادات كان قد أعطى بيجين " وعدا " بعدم تواجد أي قوات للجيش المصري شرق ممرات المتلا والجدي وحتى الحدود مع إسرائيل وهي مسافة تقدر بـ150 كم ..

يقول المشير " كانت دهشتي كبيرة وصدمتي أكبر لأن الرئيس السادات لم يخبرني مسبقا بذلك قبل بدأ المفاوضات ولم يكن من المستساغ أن أبين لوايزمان أنني لست على علم بوعده قطعته رئيس الدولة باسم مصر في هذا الموضوع العسكري الهام .. كان المفروض بحكم منصبه كوزير للحربية وقائد عام للقوات المسلحة أن يؤخذ رأيي في هذا الموضوع " ... كما يذكر المشير أنه حاول المماطلة في مقابلاته مع وايزمان التي تلت ذلك بحجة أن السادات ليس رجلا عسكريا إلا أن وايزمان رفض بإصرار تغيير ما وعد به السادات ، ويقول وايزمان في كتابه " المعركة من أجل السلام " ردا على ما فعله المشير الجمسى معه بقوله " لم أتصور أن يجرأ أي مصري على المطالبة لنفسه بحق خرق وعد قدمه الرئيس المصري نفسه ، لقد دار نقاش بيننا شديدا " ..

لم يقتصر الأمر على ما ذكره المشير الجمسى بل تعداه إلى البنود السرية التي كانت ملحقة في اتفاقية كامب ديفيد ، تلك

البنود التي تفاجأ المصريون بين الحين والآخر بالجديد فيها ..

نذكر بهذه المناسبة القرار الكارثي الذي اتخذته السادات منفردا في فبراير 1978 بإرسال طائرتين عسكريتين محملتين بـ 60 فرد من قوات الصاعقة إلى مطار لارنكا بقبرص لمحاولة القبض على الفلسطينيين الذين قتلوا يوسف السباعي أثناء تواجده في المطار المذكور ثم احتجزوا المجموعة المصرية المرافقة له ..

فقد ثبت فيما بعد أن الخارجية المصرية حذرت السادات من مغبة الهبوط في قبرص بقوات مصرية من دون موافقة حكومتها ، كما كرر اللواء نبيل شكري قائد قوات الصاعقة وقائد المجموعة المهاجمة نفس التحذير أثناء وجوده في المجال الجوي القبرصي وفوق المطار عندما لاحظ كثافة الحشد للقوات القبرصية حول المطار ، وقد هدده السادات على التليفون – تماما كما فعل مع الفريق الشاذلي عندما نصحه بعدم الهجوم دون وقفة لدراسة الموقف – وصرخ قائلا للواء شكري " أنا ه علمك شغلك ؟ ... نفذ الأوامر " ..

ونفذ اللواء شكري أوامر السادات وأسفر ذلك عن عشرات القتلى من القوات المصرية على أيدي القوات القبرصية المحاصرة للمطار وتدمير إحدى الطائرتين من جراء قذيفة من دبابة قبرصية وقعت على بعد أمتار من اللواء شكري الذي كان في كابينة إحداها وأسفرت عن مقتل طاقمها ..

لم تخطأ الحكومة القبرصية ، فقد كانت تدافع عن سيادة بلدها وكان بإمكان قواتها الجوية إسقاط الطائرتين المصريتين بسهولة بالغة ، لكنها تحلت بصبر بالغ وكانت تظن أن الرئيس المصري لن يقدم على ارتكاب خطأ كارثي على المستويات الثلاث السياسية والدبلوماسية والعسكرية .. وقد عين السادات اللواء نبيل شكري مديرا لكلية الحربية عقب الحادث كمحاولة لاحتواء القرار الكارثي الذي اتخذته ..

أسئلة تبحث منذ عقود عن إجابة !

* أصبح من الثابت الآن لجميع المراقبين والمتخصصين - وأخص منهم القيادات العسكرية وبالذات اللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية وقت الحرب - أن السادات كان قد أخبر الملك حسين قبل أسبوعين من حرب أكتوبر بيوم الهجوم وحدد ساعة الصفر له بأنها ستكون السادسة قبل المغرب وهو يعلم مسبقا بأن هذا الملك سيخبر أصدقاءه في إسرائيل بذلك وهو ما حدث ، كما أخبر السادات أيضا أشرف مروان نفس الرواية قبل الحرب وأسر مروان بالخبر إلى رئيس الموساد في 5 أكتوبر الذي طار إلى لندن خصيصا للقاء به (مع افتراض النوايا الوطنية لدى مروان وأنه كان فعلا يعمل مزدوجا لصالح مصر) ..

إننا نسأل عن الهدف الإستراتيجي مما فعله السادات هنا؟! .. سمعنا الكثير من مطبلي وراقصي النظام بأن ذلك كان يندرج ضمن خطة الخداع الإستراتيجي ولكننا نود أن نسمع شرحا من متخصصين مستقلين عن قائد يخبر أعداءه بيوم هجومه !! .. السادات نفسه رفض إعطاء القادة العرب الراغبين في إرسال قوات أي معلومات عن ساعة الصفر ولو تقريبا ، هواري بومدين حاول عدة مرات معرفة ذلك ولو تقريبا ، وكان مستعدا لإرسال كل الجيش الجزائري والإبقاء فقط على قوات الشرطة إذا أعطى الوقت الكافي ، وهو ما كان سيغير معالم أشياء كثيرة بالمنطقة ، فلماذا يبلغ السادات إسرائيل بيوم الهجوم ولم يبلغ به بومدين؟! ..

* إذا كان السادات يعلم مسبقا بأن الخروج من المظلة الدفاعية الصاروخية والتي مداها 20 / 15 كم شرق القناة سيغنى تدمير قواتنا – وهو ما حدث بالطبع - فإن المحقق المحايد لابد أن يطرح الأسئلة التالية :

- لماذا أمر بتطوير الهجوم 14 أكتوبر وتدمير قواتنا على النحو الذي ذكرناه في الحلقة الثانية؟! ..
- ألم يكن مقنعا له أن تدمير اللواء الأول مشاة في يومي 11 / 12 أكتوبر كان بسبب خروجه من المظلة الدفاعية الصاروخية؟! ..

- من أصدر قرار الخروج لهذا اللواء من المظلة الجوية؟! ، ..
- ألم تعط الطلبة الأمريكية في 13 أكتوبر السادات وكذلك المخابرات الحربية شعورا كافيا بأن الإسرائيليين يبحثون – عن طريق الأمريكيين – عن ثغرة للنفاذ إلى غرب القناة وتنفيذ الخطة غزاة؟! ..

- لماذا لم تؤخذ تحقيقات المخابرات الحربية مع العقيد عساف (قائد اللواء المدرع 190) في 8 أكتوبر مأخذ الجد ويلغى تطوير الهجوم ، تلك التحقيقات التي أكدت وجود صاروخ مضاد للدبابات أمريكي لدى إسرائيل لا مثيل له في العالم ومداه 3 آلاف متر وهو ما يفوق مدى الدبابة؟! ..

- حتى لو كانت القوات المصرية في نطاق المظلة الجوية ، ألم يكن من الواجب اتخاذ التدابير الميدانية للتعامل مع ما ظهر من تحقيقات بوجود هذا الصاروخ ؟ ..

- ثبت أن الأردن كان لديه هذا الصاروخ قبل بدأ الحرب (أو لديه المعلومات الكافية عنه حيث أكدوا لاحقاً أنهم تدربوا عليه قبل الحرب) ، فأين كان دور المخابرات العامة المصرية - ومنها المخابرات الحربية - التي ثبت أنها فوجئت بما حصلت عليه من العقيد الإسرائيلي عساف ؟

*** إذا كانت الحجة هي أن تطوير الهجوم كان بغرض رفع الضغط عن السوريين ، فإننا نسأل سؤاليين :**

- هل يعنى إنقاذ سوريا أن ندمر قواتنا؟! ..
- لماذا لم يقتنع السادات بلغة الأرقام التي ذكرها الفريق الشاذلي في 12 أكتوبر والتي أكدت أن الجبهة السورية الصغيرة كانت في أوضاع ميدانية أفضل بكثير من الجبهة المصرية الواسعة؟! ..

*** إذا كان السادات يعلم بتفاصيل الخطة الإسرائيلية قبل الحرب والمتمثلة بإحداث ثغرة في مفاصل الجيش والالتفاف منها لتطويق الجيشين الثاني والثالث ، فإننا يجب أن نطرح الأسئلة التالية :**

- لماذا لم يبق على الفرقتين المدرعتين 4 ، 21 غرب القناة كما هو متفق عليه؟! ..
- لماذا رفض إعادتهما بعد الخسائر التي تكبدها الجيش كما طالب بذلك الفريق الشاذلي في 15 أكتوبر ، خاصة بعد المذبحة التي تعرضت له المدرعات المصرية في 14 أكتوبر؟! ..
- لماذا صرخ في وجه الفريق الشاذلي في 16 أكتوبر رغم تفاقم الثغرة وهدده بالمحاكمة العسكرية إذا ذكر كلمة " انسحاب " مرة أخرى؟! ..

- لماذا لم يستجيب السادات إلى نداءات رئيس أركانه والقادة الميدانيين في 17 أكتوبر بسحب اللواء المدرع المستقل 25 إلى الغرب وتوجيه ضربة إلى الثغرة - التي كانت متوسطة القوة حينها !! - من الغرب وليس من الشرق كما أصر هو ، وهو ما أدى إلى تدمير اللواء المذكور؟! ..

*** كان سيتبقى للجيش المصري في سيناء - في حال استجاب السادات لطلب الفريق الشاذلي وسحب أربعة ألوية مدرعة إلى غرب القناة - ما مجموعه 100 ألف مقاتل + 1000 دبابة وهم قوات النسق الأول ، وهنا نسأل ما يلي :**

- لماذا رفض السادات في 20 أكتوبر سحب أربعة ألوية من الشرق إلى الغرب رغم علمه بوجود ثلاث فرق مدرعة لليهود غرب القناة وهو ما أدى إلى حصار الجيش الثالث وكاد أن يؤدي إلى حصار الجيش الثاني أيضاً وفتح الطريق إلى القاهرة؟! ..

- لماذا رفض طلب الشاذلي بينما هرول وقدم " وعدا " - لاحظ النص اللفظي الذي ذكره المشير الجمسى وكرره أكثر من مرة - إلى عزرا وايزمان أثناء المفاوضات بإخلاء سيناء من الجيش المصري والإبقاء فقط على 30 دبابة و7 آلاف رجل؟! ..

*** كثر الحديث عن عدم كفاءة وزير الحربية الفريق أحمد إسماعيل لمنصبه ، فقد طرد من الخدمة مرتين بعد النكسة (مرة عقب النكسة مباشرة وأخرى عقب حادث الزعفرانة في 1969) ، وكان معروفاً أن تعيينه كوزير حربية كان فقط لتحقيق أمن السادات الشخصي بسبب العداء القديم - والذي وصل على حد التشابك بالأيدي في الكونغو - بين الوزير ورئيس الأركان ..**

سنهمل كل هذا - رغم أهميته - ونسأل السؤال الذي نراه أكثر أهمية : لماذا أبقى السادات على وزير الحربية الفريق أول إسماعيل في منصبه رغم علمه قبل الحرب بسنتين - وهو ما صرح به السادات نفسه في خطاب له في الربع الأخير من السبعينات - بأنه مريض بالسرطان وفي درجة متأخرة وغير قادر على اتخاذ القرار ؟

*** بعد أن ثبت - طبقاً للبنود السرية - أن السياح الإسرائيليين ، والكثير منهم من الموساد ، يدخلون سيناء بدون تأشيرة ، وبعد أن ثبت أن إسرائيل تحصل على الغاز المصري بسعر يقل عن دولارين للوحدة وفي اتفاق يسرى لمدة تصل إلى عشرين عاماً علماً أن سعره العالمي يدور " الآن " حول 13 دولار للوحدة ، فإنه يحق لنا أن نسأل ما يلي :**

- هل التوقيع على تلك البنود السرية كان بمثابة خيانة للوطن ؟ ..

- هل كان يعلم كل أفراد الوفد المصري في كامب ديفيد بتلك البنود السرية ؟ ..

- هل علمنا بكل البنود السرية أم أن الأجيال القادمة ستفاجأ بالمزيد ؟ ..

- نعرف أن عيون اليهود تتجه عبر النيل ، فهل مياه النيل ضمن تلك البنود السرية ؟ ..
 - لماذا سمح المفاوض المصري بتصدير سلعة إستراتيجية نادرة كالغاز في مصر إلى إسرائيل؟! ..
 - إذا كان " أولاد العم " من محبي السلام كما يروج لهم مبارك وزمرته من فئران السفينة ، لماذا رفض الإسرائيليون إرساء عطاء المحمول إلى نجيب سايروس الذي قدم سعرا مغريا؟ ..
 - ألم يقولوا أن قطاع الاتصالات عندهم هو ضمن أمنهم القومي وسايروس – رغم صداقته لهم – لا يؤتمن عليه ؟ ..
 - لماذا وافق المفاوض المصري على توقيع عقد الغاز لهذه المدة الطويلة ولم يشترط أن تكون المدة سنوية كنوع من دفع مفاوضات السلام وانتزاع الحقوق المسلوقة وانتظارا للأسعار العالمية ؟ ..
 - هل أهمية الغاز الإستراتيجية أقل من أهمية قطاع الاتصالات؟ ..
 - أين المنطق في تصدير الغاز بثمن بخس – كما أسلفنا – إلى إسرائيل ثم استيراده بالسعر العلمي للمواطنين من الجزائر؟! ..
 - هل يعانى السوق من كثرة الزبائن حتى نوقع هذا العقد مع الإسرائيليين؟ ..
 - هل عقد الغاز بهذا الثمن البخس وبهذه المدة الطويلة يعنى أنه هناك صفقة تبادلية بين حسنى مبارك وأمريكا نظير مساعدتها له في خلافة ابنه جمال والوسيط الإسرائيلي قبض أتعابه مقدما ؟
- سنتناول في الحلقة القادمة – إن شاء الله - موضوعا هاما آخر أقبل السادات على اتخاذه أيضا رغم خطورته وأعتقد أنه حير الباحثين والمراقبين ، رغم توافر الأدلة على خطورته ، فإلى اللقاء ..

رائف محمد الويشى

سانت لويس – ميزورى – أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com